

تومْ عُقْلَةُ الأُصْبُع
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

تُومْ عُقْلَةُ الأُصْبُعِ



مقتبسة من حكايات الإخوة غريم

رسوم : منصور عموري



كَانَ يَا مَا كَانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، زَوْجَانِ يَشْتَكِيَانِ مِنَ الْعُقْمِ. ذَاتَ يَوْمٍ قَالَتِ الزَّوْجَةُ : « حَتَّى لَوْ رُزِقْنَا بِطِفْلٍ لَا يَتَجَاوَزُ عُقْلَةَ الْأُصْبُعِ سَنُحِبُّهُ مِنْ كُلِّ قَلْبِنَا ».
وَ بِالْفِعْلِ فَقَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ إِذْ أَنْجَبَا طِفْلًا لَمْ يَكُنْ يَتَجَاوَزُ حَجْمُهُ عُقْلَةَ الْأُصْبُعِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ وَالِدَاهُ اسْمَ تُومْ عُقْلَةِ الْأُصْبُعِ. وَ بِمَرِّ السِّنِينَ بَقِيَ الطِّفْلُ صَغِيرَ الْحَجْمِ جِدًّا، لَكِنَّهُ كَانَ ذَا ذَكَاءٍ وَ فِطْنَةٍ.



ذَاتَ يَوْمٍ، خَرَجَ تُومْ مَعَ أَبِيهِ إِلَى الْغَابَةِ لِقَطْعِ بَعْضِ الْأَشْجَارِ، وَ لَمَّا اسْتَأْذَنَ وَالِدَهُ فِي أَنْ يَقُودَ عَرَبَةَ الْحِصَانِ وَافَقَ الْأَبُ وَ اتَّفَقَا عَلَى اللِّقَاءِ فِي الْغَابَةِ لَاحِقًا. تَسَلَّقَ تُومْ قَامَةَ الْحِصَانِ فَرِحًا وَ اسْتَقَرَّ فِي أُذُنِهِ لِيَدُلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ. وَ كَانَ رَجُلَانِ غَرِيبَانِ يَمُرَّانِ بِالْمَكَانِ وَ لَاحَظَا بِدَهْشَةٍ هَذِهِ الْعَرَبَةَ الَّتِي تَسِيرُ دُونَ قَائِدٍ، فَقَرَّرَا تَتَبُّعَهَا، وَ عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى الْغَابَةِ، صَاحَ تُومْ مُنَادِيًا وَالِدَهُ : « هَا هِيَ الْعَرَبَةُ، تَعَالَ وَ أَنْزِلْنِي ». تَابَعَ الرَّجُلَانِ الْفُضُولِيَّانِ الْمَنْظَرَ مَشْدُوهَيْنِ، وَ فَكَّرَا لَوْ يَعْرِضَانِ فِي الْمَدِينَةِ هَذَا الصَّبِيَّ الْمُتَنَاهِيَ فِي الصِّغَرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَيَجْلِبُ لَهُمَا بَعْضَ الْمَالِ.





عَرَضَ الرَّجُلَانِ عَلَى وَالِدِ تُومْ عُقْلَةِ الْأُصْبُعِ أَنْ يَشْتَرِيَاهُ مِنْهُ. رَفَضَ الْأَبُ أَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ أَعَزِّ مَا يَمْلِكُ فِي الدُّنْيَا. لَكِنَّ الطِّفْلَ نَصَحَهُ بِالْمُوَافَقَةِ، وَ قَالَ لَهُ : « لَا تَقْلَقْ، سَأَعْرِفُ جَيِّدًا كَيْفَ أَعُودُ ». وَ هَكَذَا رَحَلَ تُومْ مَعَ الرَّجُلَيْنِ، وَ عِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ فِي الْخَانِ، تَسَلَّلَ تُومْ مُنْزَلِقًا نَحْوَ الْأَرْضِ وَ دَخَلَ جُحْرَ فَأْرٍ حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ الرَّجُلَانِ الْفَظَّانِ الْإِمْسَاكَ بِهِ. كَانَ اللَّيْلُ قَدْ حَلَّ، وَ بَيْنَمَا كَانَ تُومْ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ يَنَامُ فِيهِ، رَأَى قَوْقَعَةَ حَلَزُونٍ فَارِغَةً، وَ لَمَّا انْدَسَّ اسْتَمَعَ إِلَى الْمُسَافِرَيْنِ يَتَكَلَّمَانِ بِصَوْتٍ خَافِتٍ، كَانَا يَتَسَاءَلَانِ عَنْ كَيْفِيَّةِ سَرِقَةِ مَالِ الْخَيَّاطِ. صَاحَ تُومْ مِنْ عُمْقِ قَوْقَعَتِهِ : « خُذَانِي مَعَكُمَا، سَأُسَاعِدُكُمَا ».

وَافَقَ الرَّجُلَانِ، وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّهَا كَانَتِ الْوَسِيلَةَ الَّتِي يَعْرِفَانِ بِهَا مَاذَا بِمَقْدُورِهِ أَنْ يَفْعَلَ. تَسَلَّلَ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ إِلَى بَيْتِ الْخَيَّاطِ وَ صَاحَ : « تُرِيدَانِ كُلَّ مَا يُوجَدُ هُنَا ؟ » خَافَ اللِّصَّانِ وَ طَلَبَا مِنْهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ، لَكِنْ تُومْ عُقْلَةُ الْأُصْبُعِ عَاوَدَ الصِّيَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ. سَمِعَتْ خَادِمَةُ الْخَيَّاطِ الصَّوْتَ وَ نَهَضَتْ لِتَرَى مَا يَجْرِي، وَ عِنْدَ سَمَاعِهِمَا الْحَرَكَةَ أَطْلَقَ اللِّصَّانِ سَاقَيْهِمَا لِلرِّيحِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الطِّفْلُ يَنْسَلُّ إِلَى الْإِسْطَبْلِ. ظَنَّتِ الْخَادِمَةُ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْلُمُ، كَوْنَهَا لَمْ تَرَ أَيَّ شَيْءٍ يَتَحَرَّكُ، وَ عَادَتْ لِفِرَاشِهَا بَعْدَ أَنْ أَطْفَأَتْ شَمْعَدَانَهَا. نَامَ تُوم مُتْعَبًا عَلَى التِّبْنِ وَ لَمْ يَسْتَيْقِظْ عِنْدَمَا جَاءَتِ الْخَادِمَةُ لِتُطْعِمَ الْبَقَرَةَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ.



أَخَذَتِ الْمَرْأَةُ حُزْمَةَ التِّبْنِ الَّتِي كَانَ يَنَامُ عَلَيْهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ. فَاسْتَفَاقَ مَرْعُوبًا عِنْدَ فَمِ الدَّابَّةِ. أَيُّ رُعْبٍ ! حَرِصَ عَلَى أَنْ لَا يُطْحَنَ بِأَضْرَاسِ الْبَقَرَةِ، وَ انْزَلَقَ حَتَّى مَعِدَتِهَا. يَا لَهُ مِنْ ظَلَامٍ حَالِكٍ فِي الدَّاخِلِ ! وَ صَاحَ : « لَا تُرْسِلِي لِي مَزِيدًا مِنَ التِّبْنِ ». تَعَرَّفَتِ الْخَادِمَةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْلِبُ الْبَقَرَةَ عَلَى الصَّوْتِ الَّذِي سَمِعَتْهُ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ، فَجَرَتْ نَحْوَ الْخَيَّاطِ لِتُخْبِرَهُ بِأَنَّ الْبَقَرَةَ تَكَلَّمَتْ. عَامَلَهَا الْخَيَّاطُ فِي الْبِدَايَةِ كَمَا لَوْ كَانَتْ مَجْنُونَةً، ثُمَّ سَمِعَ بِدَوْرِهِ صَوْتَ تُومْ عُقْلَةِ الْأُصْبُعِ، فَاعْتَقَدَ أَنَّ الدَّابَّةَ مَسْحُورَةٌ، وَ أَمَرَ بِذَبْحِهَا، وَ تَمَّ رَمْيُ الْمَعِدَةِ الَّتِي كَانَ الطِّفْلُ دَاخِلَهَا فَوْقَ كُومَةِ رَوْثٍ.



مَرَّ ذِئْبٌ جائِعٌ بِالْمَكانِ وَ ابْتَلَعَ تِلْكَ الْمَعِدَةَ في لُقْمَةٍ واحِدَةٍ. وَ بِشَجاعَتِهِ الْمَعْهودَةِ لَمْ يَيْأَسْ تُومْ مِنْ وَضْعِهِ، وَ صاحَ في الذِّئْبِ مِنْ عُمْقِ مَعِدَتِهِ : « عَزيزي الذِّئْبُ، أَعْلَمُ أَيْنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَجِدَ أَفْضَلَ وَجْبَةٍ. » وَ اسْتَمَعَ الذِّئْبُ لِلطِّفْلِ وَ هُوَ يَشْرَحُ لَهُ الطَّريقَ إِلى بَيْتِ أَبيهِ حَيْثُ بِإِمْكانِهِ أَنْ يَلْتَهِمَ كُلَّ مَخْزونِ الْمَؤونَةِ، وَ في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ تَسَلَّلَ الذِّئْبُ إِلى بَيْتِ أَبي تُومْ، وَ الْتَهَمَ الأَكْلَ لِحَدِّ جَعَلَ بَطْنَهُ الثَّقيلَ يَتَرَنَّحُ عَلى الأَرْضِ، فَلَمْ يَعُدْ يَقْوى عَلى الْحَرَكَةِ، وَ ضَخُمَ حَجْمُهُ حَتّى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُرورَ عَبْرَ الْبابِ. راحَ الطِّفْلُ يَهْتَزُّ وَ يُطْلِقُ صَيْحاتٍ. « أَلا تُريدُ أَنْ تَصْمُتَ، سَتوقِظُ الْجَميعَ »، تَوَسَّلَ الذِّئْبُ خائِفًا.



لَكِنْ تُومْ رَدَّ عَلَى الذِّئْبِ قَائِلاً : « إِذَا كُنْتَ قَدْ اسْتَمْتَعْتَ بِوَلِيمَتِكَ، فَأَنَا أَيْضًا لَدَيَّ الْحَقُّ فِي التَّسْلِيَةِ »، وَ رَاحَ يُحْدِثُ ضَجَّةً كَبِيرَةً. اِسْتَيْقَظَ أَبَوَاهُ أَخِيرًا عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ الضَّجِيجِ، وَ وَصَلَا إِلَى مَخْزَنِ الْمُؤُونَةِ وَ نَظَرَا مِنْ كُوَّةِ الْبَابِ. وَ عِنْدَمَا شَاهَدَا الذِّئْبَ جَرَيَا لِلْبَحْثِ عَنْ أَسْلِحَةٍ : سَاطُورٌ لِلْأَبِ وَ مِنْجَلٌ لِلْأُمِّ. وَ قَالَ الْأَبُ لِزَوْجَتِهِ : « سَأَضْرِبُ أَوَّلًا وَ إِنْ لَمْ يَمُتْ أَجْهِزِي عَلَيْهِ أَنْتِ بِالْمِنْجَلِ »، وَ لَمَّا سَمِعَ تُومْ عُقْلَةُ الْأُصْبُعِ صَوْتَ وَالِدِهِ صَاحَ قَائِلًا : « أَبِي، أَنَا هُنَا فِي بَطْنِ الذِّئْبِ !

« يَا لَسَعَادَتِي ! »، صَاحَ الرَّجُلُ، أَخِيرًا عَثَرْنَا عَلَى ابْنِنَا الْعَزِيزِ ! » وَ ضَرَبَ رَأْسَ الذِّئْبِ الَّذِي سَقَطَ مَيِّتًا.



أَخَذَ الْأَبَوَانِ مِقَصًّا وَ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ فَتَحَا بَطْنَ الذِّئْبِ. وَ بِكَثِيرٍ مِنَ السُّرُورِ ارْتَمَى الطِّفْلُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَالِدِهِ وَ وَالِدَتِهِ، وَ اسْتَنْشَقَ بِتَلَذُّذٍ الْهَوَاءَ النَّقِيَّ. « وَ لَكِنْ أَيْنَ ذَهَبْتَ ؟ » سَأَلَاهُ بِفُضُولٍ.

« عِشْتُ مُغَامَرَاتٍ كَثِيرَةً. لَجَأْتُ فِي الْبِدَايَةِ إِلَى جُحْرِ فَأْرٍ، ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي فِي بَطْنِ بَقَرَةٍ، وَ فِي الْأَخِيرِ انْتَهَيْتُ فِي أَحْشَاءِ ذِئْبٍ. أَنَا سَعِيدٌ جِدًّا بِلِقَائِكُمَا مِنْ جَدِيدٍ. » غَمَرَهُ أَبَوَاهُ بِالْقُبَلِ ثُمَّ أَخَذَاهُ إِلَى الْبَيْتِ، وَ هُنَاكَ قَامَا بِتَحْمِيمِهِ فِي دَلْوِ مَاءٍ سَاخِنٍ، وَ أَطْعَمَاهُ وَ سَقَيَاهُ وَ أَعَدَّا لَهُ مَلَابِسَ جَمِيلَةً.

